7

غير اليمينية كمشكلة مستقلة

وصفنا في الفصول السابقة اللاتناظر الحركي والحسي والنفسي ضمن ظروف مرضية. وقدمنا، بناءً على تحليله، وصفاً فرضياً للمكان الفردي والزمان الفردي عند الشخص اليميني. إذا انتقلنا الآن إلى أقلية السكان غير اليمينية، علينا قبل كل شيء إبراز عدم إمكانية وصفها كأقلية عسراء أو ضبطاء. لا نرى حالياً أية إمكانية لوصف هاتين المجموعتين من غير اليمينيين ضمن ظروف مرضية بشكل منفصل، وتقديم وصف مختلف، ولو بشكل تقريبي فقط، لتنظيمها المكاني - الزماني. نحن نرى المغزى الرئيس للفصول التالية في عرض خصائص الأشخاص العسر والضبط ضمن ظروف مرضية، وفي توجيه الانتباه إلى تلك المشكلات السريرية، التي يمكن أن تدل على أن التنظيم المكاني - الزماني عند العسر والضبط يختلف عنه عند اليمينيين.

يمكن القول إن الأقلية البشرية غير اليمينية تكاد لم تُدرس حتى الآن على الإطلاق. كما تم إهمال الأعضاء غير اليمينيين في جميع الجماعات البشرية زمناً طويلاً. فقد عُدَّت الأعسرية، تبعاً لرأي ناشئ تلقائياً في الوعي المجتمعي، شذوذاً عن الطبيعي. اليمينية فقط «تُعدّ عند الإنسان المتحضّر الحالي ظاهرة فيزيولوجية طبيعية استقرت وتثبتت في سياق التطور» (Astwazaturow، 1923). وليس من النادر أن يظهر موقف تمييزي في علاقة المجتمعات بالأشخاص العسر. هذا ما يتجلى، على سبيل المثال، في معاني كلمات مثل أيسر = أفشل، غير حَرِك، لخمة، بينما أيمن = صحيح، قويم، وذلك في العديد من لغات العالم.

يشير M. Gardner (1967)، على سبيل المثال، إلى أن الكلمة الإنكليزية right تعني في الوقت نفسه «أيمن» و«صحيح»، وهذا ما يدل بوضوح إلى أن

«استخدام اليد اليمنى» يُقيَّم على أنه «صحيح». وللكلمة left لها المنشأ نفسه: اليد اليسرى لا تُستخدَم أثناء العمل ولا يُلتفَت إليها (left out). كما أن الإطراء غير الصادق فعلاً، يوصَف بأنه إطراء أعسر (lefthanded compliment).

إن الكلمة sinister، التي يوصَف بها شيء ما «سيئ»، «متلَف أو مفسَد» (Gardner، 1967)، تتحدر من الكلمة اللاتينية من أجل «أيسر». الكلمات dexterous أو dextrous = «مرن» و«ماهر» تتحدر من الكلمة اللاتينية من أجل «أيمن». الكلمة الفرنسية gauche = «أيسر» تعني عدا ذلك «أخرق أو غير ماهر»، «خدّاع أو غير مخلص»، بينما تُستخدَم كلمة droit = «أيمن» بمعنى «مستقيم أو سوي»، «نزيه أو مخلص أو صادق» أيضاً. الكلمة الألمانية links = «أيسر» تعني أيضاً شيئاً مثل «أخرق، غير ماهر»، والكلمة rechts = «أيمن» شيئاً مثل «صحيح»، «شرعي».

في اللغة الإيطالية توصَف اليد اليسرى بـ stanca أو manca، وهو ما يعني شيئاً مثل «منهوك القوى»، «فاسد»، «به عيب أو معيب». ويسمي الإسبان اليد اليسرى zudro، التي تستعمل بمعنى «ضلال أو غي».

كذلك في اللغة الروسية كثيراً ما تمتلك كلمة «أيمن» في تركيب الجمل معنى إيجابياً، والكلمة «أيسر» معنى سلبياً. لقد نقل أحد مرضانا، وكان أعسر، كلمات والدته، التي قالت وهي تلتفت إلى ولدها «أعسر - نفس عوجاء»[1].

جميع المجتمعات البشرية موجَّهة إلى اليمينية. جراء ذلك كانت اللاتناظرات اليمنى هي التي حدّدت التقاليد والأعراف العامة المألوفة: المصافحة باليد، التحية العسكرية، وكذلك الأفعال اليومية المألوفة، والأمور الصناعية، وفي شؤون المواصلات - قاعدة القيادة على الجهة اليمنى من الطريق مثلاً -، حتى كتب تعليم المهن اليدوية كانت تُكتَب حتى عهد قريب من أجل اليمينيين فقط.

المولود الأعسر مجبَر على التكيّف مع الحياة في مجتمع مُعدّ لليميني. لذلك عُدَّت الأعسرية «عيباً جسدياً بالنسبة للحياة في المجتمع» (Wiener، 1958). «ينبغي على العسر تحمّل الكثير من المتاعب لأنهم يعيشون في عالمنا اليميني... فالكثير من توافه الأمور في العالم اليميني تصبح مزعجة لهم ومثيرة للاستياء» (Gardner،

[1] كذلك في العربية يوصف الشخص الذي يستعمل يده اليسرى (الأعسر) بأنه أفشل أو أفكح. كما يقال حلف اليمين (وليس اليسار)، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. - (المترجم).

1967). «على الرغم من الموهبة الطبيعية» فإنهم يجدون أنفسهم «ضمن شروط عمل أقل ملاءمة من اليمينيين» (Ananjew، 1963). «طالما أن الأعسر خاضع لأسلوب الحياة المتكوّن منذ قرون، لا يمكنه أن ينمو ويتطور تبعاً للقوانين الفيزيولوجية الموضوعة له، لا يمكنه أن ينمو ويشتد عوده باستخدام الفاعلية اليسرى الطبيعية بالنسبة له، بل ينبغي عليه، على العكس، كبت هذه الفاعلية وتطوير نمط سلوكي «يميني». غير أنه حتى ضمن هذه الظروف يبقى نمط السلوك «اليساري» أكثر طبيعية وأكثر فيزيولوجية، هذا ما تدل عليه الدراسات على العسر. فهم يستخدمون يدهم اليسرى عند التعب أو تراخي الانتباه أو في حالة الهياج» (Tschenow، 1980). ومن الجدير بالملاحظة أن العسر غالباً ما يذكرون تلقائياً سيطرة يدهم اليسرى عند وصفهم لشخصهم، بينما يندر هذا عند اليمينيين (Mc Curie، 1980).

من هنا تمتلك مشكلة الأعسرية أهمية اجتماعية وتربوية وطبية كبيرة. وقد تكاثرت في السنوات الأخيرة الدراسات حول غير اليمينيين فيما يتصل بالتوجيه المهني واختيار أنواع النشاطات المحدّدة، وفي إطار الرياضة، وفيزيولوجيا المهندسين وغيرها من فروع الفيزيولوجيا التطبيقية. فالعسر يُعاد تدريبهم. ويسعى المرء لجعلهم يمينيين، لتعليمهم النمط اليميني للاستخدام وللسلوك الحركي بكامله. غير أن مسألة إعادة تدريب العسر أدت، ولا زالت تؤدي إلى مناقشات ساخنة.

علّق A. A. Kapustin فيما يخص تربية الأطفال نحو الأضبطية (عن طريق تنمية مشدّدة لليد اليسرى عند اليمينين، ولليد اليمنى عند العسر) مسبقاً عام 1924: «لم أجد في المطبوعات الطبية الاختصاصية أي مثال مقنِع على أن السعي إلى تطوير مثل هذه الأضبطية هو أمر مبرَّر وذو فائدة بشكل من الأشكال». وقام بتحليل آراء العديد من المؤلفين، الذين أشاروا إلى عدم صواب تطوير اليمينية عند العسر أو الأعسرية عند اليمينيين، مشدّدين، على العكس، على وجوب العمل بالقاعدة التي تنص على تربية اليد اليمنى عند اليمينيين واليسرى عند العسر، أي أنه يجب تنشئة الأطفال طبقاً لاستعداداتهم الطبيعية. وينقل Kapustin كلمات Liepmann (1911)، الذي صرح متهكّماً بشكل ساخراً: «عن طريق تدريب اليد اليمنى يمكن للمرء تحقيق نجاحات غير اعتيادية: تحسين الأخلاق وإيقاف الأمراض العصبية وازدياد غير عادي في النشاط العقلي للبشرية». ويلاحظ Kapustin عند الأشخاص العسر، الذين درسهم، أن الكتابة باليد اليمنى كانت

عند جميعهم أبطأ منها باليد اليسرى، وكانت تعني بالنسبة للأطفال العسر مجهوداً أكبر بشكل واضح، بينما تمت الكتابة باليد اليسرى، سواء بالخط الطبيعي أم بالخط المرآتي (المعكوس)، بشكل حر وسلس تماماً ومن غير مجهود. وهو يعدّ تربية اليد اليسرى فقط عند العسر أمراً صحيحاً، لأنه يرى أن «التدخّل بالإكراه في التطور الطبيعي للطفل أمر غير مناسب على الإطلاق».

وقد عبّر العديد من المؤلفين في السنوات اللاحقة عن آرائهم ضد صواب إعادة تدريب العسر. يرى Ognew (1955) أن مثل هكذا إعادة تدريب «يمكن أن تؤدي إلى عرقلة ليس التطور الجسدي وحسب، بل التطور العقلي أيضاً، لأنه لا يؤخذ بالاعتبار فيها اتجاه التطور الطبيعي، أو عطاء الطبيعة - إن جاز القول -، وتجري إعاقة تطور القدرات الطبيعية خلال نمو العضوية بمجمله». إن تصحيح الأعسرية بالإكراه يمكن أن يؤدي، حسب رأي Hecaen، (1959)؛ Mossidse (1976)، إلى حالات عصابية وتأخر تطور عقلي. يقال إن «لكل إنسان سمته الفردية الخاصة به في لاتناظر الأطراف. ويجب أخذ هذه السمة كمعيار والتوجّه تبعاً لها في تربية الأطفال» (Kubischkin، 1963).

يشتد إلحاح نصائح الباحثين باستمرار على عدم تكييف العسر تبعاً لأشكال العمل اليمينية، بل ينبغي إنجاز تجهيزات تقنية خاصة من أجلهم. وقد بدأت بعض الدول فعلاً (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، اليابان، ألمانيا وغيرها) بإنتاج أدوات ووسائط عمل من أجل العسر. وهذا أمر مهم من النواحي الاجتماعية والنفسية والفيزيولوجية أيضاً. فهو يؤدي إلى ارتفاع إنتاجية عمل العسر، وإلى التغلّب، جزئياً على الأقل، على الافتراق العميق بين شروط الإنتاج والاستعدادات الطبيعية عند العسر، كما أنه يخفّف من إجهادهم النفسي، الذي يظهر حتماً عندما يتوجب عليهم القيام بعمل مُعدّ من أجل اليمينيين فقط. أوردنا في الفصل الثاني نتائج دراسات A. G. Fedoruk، التي تدل على أن المتطوعين العسر أدوا عمل المراقب الفني بشكل أسوأ بوضوح من اليمينيين.

ومن الجدير بالاهتمام الدراسات المجراة حول إعادة تعلّم العسر عبر عدة أجيال. يذكر Kapustin (1924) عائلة وُجِدَت فيها الأعسرية على مدى 200 سنة، على الرغم من تربية الأطفال لتحويلهم إلى يمينيين. لا تُعدّ هذه النتيجة جديرة بالملاحظة لأنها تقرّبنا من الفكرة التي مفادها أن الأعسرية لا تتحدّد بعوامل اجتماعية فقط، بل لأنها تدعو إلى الاعتقاد بأن الأعسرية هي مجرد صورة خاصة لحقيقة

اختلاف التنظيم الوظيفي للأقلية البشرية غير اليمينية عنه عند اليمينيين. لا شك في أن العسر والضبط يُبدون، مثلهم مثل اليمينيين، خصائص محدّدة في مجالهم النفسي، وهذه الحقيقة يزداد وضوحها باستمرار. لذلك تتمتع مسألة إعادة تعلّم العسر بأهمية أكثر شمولاً بكثير. هل يمكن للمرء إعادة تدريب شخص أعسر بحيث «يتحول» إلى شخص يميني، ليس فيما يتعلق بسلوكه الحركي وحسب، بل فيما يتعلق بوظائفه الحسية والنفسية أيضاً؟

تتوافر في جميع المراجع إشارات إلى أن لاتناظر الوظائف عند العسر والضبط أقل شدة منه عند اليمينيين (Hicks وKinsbourne، 1978). يبدو الملاكمون العسر، مقارنة باليمينيين، أقرب إلى كونهم «ثنائيي اليد»، فهم يُبدون تطوراً متناظراً في عضلات الذراعين (Ogurenko، 1972). ويكون لاتناظر حس الألم بشكل خاص أقل عندهم، في حين أن تحمل الألم في اليد اليمنى عند اليمينيين أكبر بشكل واضح (Murray وHagen، 1975)، أما لاتناظر حس اللمس فهو أقل شدة منه عند اليمينيين (Warney وBenton، 1975). وقد تم إثبات وجود اختلافات أخفّ في السمع والبصر عند العسر منه عند اليمينيين، وذلك في الفحوص الانقسامية (Satz، 1965، 1967) والمبصارية (Efron، 1963؛ Carmon، 1978). ولم تُدرَس تشاركات اللاتناظر الحركي والحسي والنفسي عند غير اليمينيين. وليس هناك سوى إشارات قليلة في هذا الاتجاه. هكذا يُفترَض أن تكون العين اليمنى عند اليمينيين هي العين المسيطرة، بينما ليس من الضرورة أن تكون العين اليسرى عند العسر مسيطرة (Friedhandler، 1971).

تجدر بالاهتمام الدراسة التي أجرتها Schubenko-Schubina (1978)، والتي تمت فيها مقارنة اللاتناظر الحركي مع شكل معقّد من النشاط الحسي، مثل «الإدراك في المحلِّل الجلدي». فمن أصل 300 رجل سليم في عمر من 17 إلى 27 سنة أثبت 50 رجلاً (16.7%) أنهم غير يمينيين. وتألّف هؤلاء من ضُبَّط (6 أشخاص) وعسر جزئيين (15 شخص) وعسر كامنين (4 أشخاص) وعسر مطلقين (15 شخص) وعسر مُعاد تدريبهم (8 أشخاص). وفي حين لم تظهر المواظبة أو التكرار الآلي إلا عند شخص واحد من بين الـ 250 شخصاً يمينياً، ظهرت عند 11 من بين الـ 50 شخصاً غير يميني (المواظبة أو التكرار الآلي = بعد عدة وخزات في المقطع الجلدي نفسه يواصل المتطوع إدراك التنبيه حتى بعد إيقافه). وفي حين أنه لم يتم إثبات تعدّد الحس (Polyasthesie) إلا عند يميني واحد، فقد تم إثباته عند 7 متطوعين غير يمينيين

(وكما هي الحال في الظاهرة الأولى كانوا عسراً جزئيين في الأغلب) (تعدّد الحس = تنبيه لمرة واحد يُدرَك على أنه لعدة مرات). وقد وُجِدَ عند 7 متطوعين غير يمينيين تخالف في الحس أو حول الحس (Allocheirie) (التنبيه المطبق على إحدى الجهتين يُدرَك على الجهة الأخرى)، بينما لم يصادف عند أي يميني. عند 5 متطوعين غير يمينيين كان هناك عسر حس (إدراك مشوّه)، الأمر الذي لم يصادف عند أي يميني. وقد نشأ عند بعض غير اليمينيين الإحساس بأن التنبيهين الحراريين المطبَّقين على نقطتين منفصلتين يندمجان أحدهما مع الآخر، أو أشير أيضاً إلى حركة ظاهرية.

لا شك في أن هذه الظواهر غير مألوفة. وتقيّمها المؤلفة على أنها «علامات على اضطرابات بدئية في النشاط المزدوج لنصفي الكرة المخية». ولكن بما أنها تظهر عند أشخاص أصحاء عملياً، أليس من المحتمل أن تكون تعبيراً عن خصائص نوعية في إدراك الأشخاص غير اليمينيين؟ يجدر بالاهتمام ما لوحظ من تشوّهات في الخصائص المكانية والزمانية للتنبيهات المطبَّقة في وعي العسر: فالوخزة تُدرَك بعد أن تكون قد انتهت، والوخزة المفردة المطبَّقة على نقطة واحدة يتم إدراكها لمرات عديدة، والمنبّهات المنفصلة مكانياً يتم إدراكها بشكل مبهم ومطموس ...إلخ.

لما كانت مشاهداتنا السريرية الخاصة على المرضى العسر قد أثارت دهشتنا، وبدت غير مفهومة فعلاً، فقد أولينا اهتماماً خاصاً لكيفية معالجة مسألة الخصائص النفسية عند الأشخاص غير اليمينيين في المراجع. فوجدنا أن جميع الباحثين قد تشاطروا مؤخراً الرأي القائل إن العسر والضبط يُبدون صفات شخصية وعقلية معينة (Clark، 1957). ويمكن رؤية جميع التصريحات المتوافرة - بتحفظ - من وجهات نظر ثلاثة. علماً بأن المحتوى المحدّد للكثير من التصريحات لا يستند إلى أساس علمي قوي، لا سيما تلك التي تنسحب على وجهة النظر الأولى.

تنطلق وجهة النظر الأولى، التي تظهر في معظم التصريحات، من أن تطور العسر ينبغي أن يُبدي انحرافات عن التطور الطبيعي الخاص بمعظم اليمينيين.

تُعدّ الأعسرية سمة تنكّس أو تراجع. يتبنّى مثل هذه النظرة، على سبيل المثال، Kapustin (1924)، الذي توصل إلى الاستنتاج التالي بناءً على دراسات أجراها على 44 أعسر في عمر من 7 إلى 17 سنة (من بينهم 4 أبدوا موهبة وألمعية فوق الوسط و27 وسط و7 دون الوسط): «يمكن أن يوجد بين العسر أطفال طبيعيون تماماً، هذا يعني أنهم يمكن أن يمتلكوا تطوراً جسدياً جيداً ودرجة عالية من الألمعية، ولكن في معظم الحالات (ثلثي الحالات تقريباً) يكون الأعسر متأخراً

ومتدنّياً». ويُعتقَد أن الأعسرية كثيراً ما تظهر مترافقةً مع سيكوباتية (Quinan، 1930)، أو كحوليـــة (Bakan، 1973)، أو صـــرع (Bolin، 1953)، أو تلعـــثم (Florenskaja، 1949)، أو مع «رتّة وراثية وظيفية» (Gordon، 1920؛ Kapustin، 1924) وسمات تنكّس أخرى تميّز، حسب Lombroso (1884)، المجرم الكامن، وأخيراً مع سمات واضحة لتأخر التطور. هكذا يكتب Gordon (1920) أنه عند زوج من التوائم، أحدهما يميني والآخر أعسر، يكون الأعسر «أكثر عصبية وأصغر حجماً ويتأخر في تطوره». ويقول Hicks وBarton (1975) إنه كثيراً ما يظهر عند العسر تأخر في التطور العقلي يصل حتى البلاهة؛ ويتحدّث Kvasnika وGaal (1976) عن شكل خاص من خلل الوظيفة الأصغري في الدماغ عند العسر. ويذكر Derman (1976) إنه أثبت عند العسر الفصاميين أعراضاً نفسية عضوية. إن ما يدل على أن الكثير من التصريحات المذكورة هي، في أغلب الظن، تعسفية وغير مبرهنة بشكل كامل هو حقيقة وجود معطيات متناقضة أيضاً. فمثلاً يتم إنكار العلاقة بين الأعسرية واضطرابات النطق (Gardner، 1976؛ Hecaen وAjuriaguerra، 1963). ولم يثبت Schklowski (1976)، الذي درس السيطرة النصفية للمخ عند المتلعثمين بطريقة السمع الانقسامي، أية علاقة بين التلعثم واختلاف السيطرة اللغوية. إن بعض الادعاءات حول تخلف العسر العقلي لا تستند إلى أي أساس، لأنها لم تقدّم أية نتائج لتحليل دقيق للعيوب النفسية المفترَضة عند مثل هؤلاء العسر. أما الأعمال الأحدث، التي أُجرِيَ فيها مثل هذا التحليل، فلم تسفر عن أية نتائج دامغة. يجد المرء، إلى جانب دليل تطور نفسي منخفض (قيمة IQ منخفضة) عند العسر والضبط (Anett، 1964، 1967؛ Cernacek، 1974، 1976)، تقارير تفيد أن الجوانب المختلفة للنفسية الكلّية يمكن أن تكون نامية بشكل متباين. هكذا فإن الضبط، حسب Levy (1969)، أقرب إلى اليمينيين فيما يتعلق بقدراتهم البصرية - المكانية، غير أنهم يقومون بالمهمات اللفظية بشكل أسوأ. كما كان الـ IQ أعلى عند اليمينيين، الذين أقاربهم من اليمينيين فقط، وبالمقابل كان أدنى عند الأشخاص ذوي «الانحرافات عن اليمينية» (Briggs، 1976). في الوقت نفسه يذكر Hicks وBeveridge (1978) أن العسر لا يتخلّفون عن اليمينيين في جميع مظاهر تطورهم النفسي، بل في بعضها فقط. فذكاؤهم العام ومدى اطّلاعهم وثقافتهم العامة وثروتهم اللغوية ومعارفهم العامة في العلوم الطبيعية والاجتماعية وفي الرياضيات يمكن أن تكون عالية جداً؛ غير أن العسر

يُظهرون نتائج أسوأ في «الذكاء الجاري»، الذي يُحدَّد بناءً على فهمهم لمادة لفظية معروضة.

تنطلق وجهة النظر الثانية، على العكس، من أن التطور النفسي والجسدي عند غير اليمينين أفضل منه عند اليمينيين. تبعاً لهذا الرأي يمكن أن تترافق الأعسرية مع النبوغ. ويستشهد المؤلفون عادة بأشخاص نوابغ من الماضي معروف عنهم بدقة أنهم كانوا عسراً، وعلى رأسهم ليوناردو دافنشي. والحق أن إبداعات العسر النوابغ يمكن أن تكون جديرة بالاهتمام، وتوفر بكل وضوح إمكانية دراسة خصائص طبيعتهم النفسية وإدراكهم والنظرة إلى العالم في إبداعاتهم، والتي يُحتمَل أن تكون وصفية لهم كعسر.

إن الرأي القائل بتفوّق العسر على اليمينيين يقوم قبل كل شيء على مشاهدات تمت على العسر أثناء التعلّم في المدرسة وأثناء السلوك في الحياة اليومية وأثناء القيام بعمل ما. بحسب Gordon (1920) يوجد بين العسر، الذين يذهبون إلى مدارس عادية، «موهوبون بشكل خاص جداً»، وعندما لا يُجبَرون على تحويل تعلمهم، يمكنهم الإتيان بنتائج دراسية أفضل من اليمينيين (Ballard، 1916). ويكتب Gardner (1967)، مستشهداً بالعهد القديم، أن العسر «كانوا ماهرين بصورة غير عادية...، فقد قذفوا الحجارة من مقاليعهم من دون أن يحيدوا عن الهدف ولا مرة واحدة» وأن «الأعسر له الأفضلية في أعمال معينة، أفضلية صحيح أنها طفيفة، ولكن لاجدال فيها». كما يُروى أيضاً عن ميزات الملاكمين العسر فيما يتعلق بالأمور الحركية والنفسية الحركية، فقد فازوا بـ 35-40% من الميداليات الذهبية في المسابقات الكبرى (Ogurenkow، 1972). أما Peterson وLansky (1977) فقد لفتا الانتباه إلى الكفاءة الخاصة للرجال العسر في فن العمارة: فمن عام 1970 حتى 1976 كان عدد العسر الذين أنهوا دراستهم في فن العمارة في جامعة Cincinatti أكبر من عدد اليمينيين (قياساً إلى عدد العسر المقبولين)؛ من بين الذكور المقبولين للدراسة في عام 1976 كان 21% من العسر، في حين أنهم في الاختيار العشوائي لن يتجاوزوا 10%. وقد دُعِّمَت وجهة النظر هذه في الفترة الأخيرة بالحجج من خلال نتائج الدراسات التجريبية. فقد أمكن إظهار أن العسر، لاسيما الذكور، منهم يحلّون المسائل الحسابية بشكل أفضل من اليمينيين (Heim وWatts، 1976)، ويُبدون قدرات مكانية أفضل (Mc Gee، 1976)، في حين أن النساء العسراوات ينجزن مهمة رسم مسقط شيء ما على قاعدة شكل ما بشكل

أسوأ من اليمينيات. كما أثبتت Deutsch (1978) قدرة تذكّر أفضل عند العسر بالنسبة لدرجات الأصوات (طبقاتها)، وأظهر أفضل النتائج أولئك الذين كانوا يتحكّمون بكلتا اليدين، سواء اليمنى أم اليسرى. وتستنتج المؤلفة من ذلك أنه يوجد عند العسر اختزان مضاعف للمعلومات فيما يتعلق بدرجة الصوت. وتكون الانفعالية عند الذكور والإناث العسر أشد منها عند اليمينيين (Harburg، 1981).

أخيراً تكمن وجهة النظر الثالثة في إنكار كل فارق في الإمكانات النفسية بين العسر واليمينيين. مع ذلك ففي الأعمال، التي تدخل في عداد هذه المجموعة الثالثة، لم يجر عادة تحليل خصائص النفسية الكلّية بمجملها. فقد درست بالدرجة الأولى القدرات العقلية، «التصور الذهني العام» (Hardyck، 1976)، الذي لا تُبدي أرقامه أية فوارق عند العسر واليمينيين (من أصل 7688 تلميذاً كان 10.5% من الذكور و9.6% من الإناث عسراً).

إذا أردنا بهذا اختتام استعراضنا للأعمال، التي أولت اهتمامها للخصائص النفسية عند غير اليمينيين، والتي قسّمناها بشكل تحكمي نوعاً ما إلى ثلاث مجموعات، لا بد لنا من التأكيد على أنها لا توفر في مجموعها أي تصور واضح عما إذا كان العسر يختلفون عن اليمينيين في وظائفهم النفسية، وأين تتجلى هذه الاختلافات، وعما إذا كانت الاختلافات ذاتها قائمة عند جميع غير اليمينيين. من الجلي تماماً أن إثبات سمات الاختلاف النفسية عند العسر وتوصفها الدقيق لا يمكن أن يتم إلا عن طريق دراسات واسعة النطاق تُستخدَم فيها الطرائق المنهجية ذاتها، التي يتوافر فيها رأي موحد حول المفاهيم «يميني»، «أعسر»، «أضبط»، «يميني أو أعسر جزئي»، «يميني أو أعسر خالص» ...إلخ.

لا شك في أن المسائل المطروحة سابقاً تحتاج إلى تدقيق، إضافة إلى الكثير من المسائل الأخرى، التي لم تُذكر حتى الآن بعد، من ذلك مثلاً تصريحات تفيد أن نسبة العسر بين مرضى المشافي النفسية أكبر من نسبتهم بين السكان الأصحاء (Penfield وRoberts، 1964)، والادعاء بأن الأمراض النفسية، لاسيما الفصام، تُبدي عند العسر سيراً يختلف عنه عند اليمينيين (Derman، 1976؛ وآخرون). فقد درس Fliminger ومساعدوه (1977) 800 مريض نفسي و800 شخص سليم لجهة «يدويتهم»، ولم يعثروا على أية فوارق بين هاتين المجموعتين. إلا أنهم لاحظوا سلسلة من التفاصيل الجديرة بالاهتمام: النسبة بين اليمينيين والعسر والضبط كانت عند المرضى العصابيين هي نفسها عند الأصحاء؛ اليمينيون بشكل بارز كانوا ممثّلين

بشدة بين مرضى الذهان؛ عند مرضى الفصام عُثِرَ على رجال يكتبون باليد اليسرى أكثر من النساء؛أبدت النساء، اللواتي يعانين من اضطرابات في الشخصية، استعداداً للأضبطية أقوى منه عند نساء مجموعة المقارنة ...إلخ. ويغلب الظن أن الأمراض النفسية تسير عند العسر بشكل مختلف عنه عند اليمينيين.

كما تتضح الأهمية النظرية والعملية الكبيرة، التي تتمتع الدراسات المجراة على غير اليمينيين ضمن ظروف طبيعية ومرضية، من أن النتائج التي تُسفر عنها مثل هذه الدراسات سوف تساعدنا على فهم أفضل للتنظيم الوظيفي للإنسان عموماً. لا شك في أن تنظيم الحياة والعمل، الذي لا يأخذ بالاعتبار المعارف حول التنظيم الوظيفي للأكثرية وحسب، بل للأقلية أيضاً، كما يأخذ بالاعتبار الاستعدادات البيولوجية الطبيعية لجميع أعضاء المجتمع، سوف يكون مناسباً من أجل تطور منسجم لشخصية كل فرد.

obeikandl.com